فلسفة علم الجمال

أصول الفلسفة:-

تأتي لفظة فلسفة من كلمتين يونانيتين : الأولى هي (فيليا - philia) وتعني الحب أو الصداقة، والثانية هي (صوفيا - Sophia) وتعني الحكمة ، فالفلسفة إذن من جهة الأصل اللغوي تعني محبة الحكمة.(صـــ 13، وليم جيمس : مدخل الى الفلسفة) الحب هنا ينبغي ان يفهم بمعنى يتضمن الرغبة في أو التوق الى شيئ معين..

إذاً كون المرء فيلسوفاً يتضمن أنه يسعى الى الحكمة، وليس بالضرورة أنه يستحوذ عليها.

والملاحظة الثانية:- هي ان الحكمة تســتعمل كلفظة جامعة تشــمل كل بحث فكري دؤوب في أي مجال من المجالات .(صـ 14 ن.م)

أن الفلسفة فرع معرفي يدور حول المفاهيم أحرى من أن يدور حول الوقائع. فالواقعة (fact) هي حقيقة عن العالم قائمة على أساس الملاحظة. وهناك وقائع الحياة اليومية وهناك وقائع تأريخية ووقائع علمية. غير ان ما توصـف به الوقائع من كل نوع هو انها تكون صـادقة وان تكون قائمة على الملاحظة. فأن إصـطلاح يلاحظ (observing) تعني ان يتفحص ليرى ان كان شيء ما هو في الحقيقة كذلك (صـ 16: ن . م).

ولا توجد في اللغة الإنكليزية مرادفات قريبة من كلمة(concept - وتعني مفهوم) ســوى كلمة (idea – وتعني فكرة) وكلمة (notion - تعني تصور). غير ان من السهل ان نبين ما يقصده الفلاسفة عندما يتحدثون عن المفاهيم فكون (كرســتوف كولمبس) هو من اكتشــف أمريكا فهذه واقعة حقيقية ، فأن الواقعة تشتمل على مفهوم الاكتشاف. الوقائع تُعَرف، أما المفاهيم فتفهم. أنت لا تستطيع ان تفهم واقعة ان (كولمبس) هو مكتشف أمريكا ما لم تفهم مفهوم الاكتشاف.(صـ 17 : ن.م)

أغلب المفاهيم هي فحص فلســفي، فإذا كانت لدينا على ســبيل المثال أية مصــاعب، بشــأن كلمة منضــدة أو كرســي فأن أي معجم لغوي كفيل بحلها. وعلى الرغم من ذلك تبقى هناك كلمات كثيرة تجري على الســنتنا ويتفق ان تكون من أهم ما نســتعمل من كلمات تظل كثيرنا حتى بعد ان نكتشــف معناها في المعجم. والمثال على ذلك كلمات من قبيل (الحرية والديمقراطية والحب والأخلاق). لذا يعتبر مســتخدموا هذه الكلمات على دراية ولو بجزئية بالمفاهيم التي تعبر عنها.(صـ 17 : ن.م)

فإذا ســألنا أنفســنا ماذا نعني بكلمة حرية على وجه التحديد؟ بعبارة أخرى:- في أية ظروف على وجه الدقة يكون من الملائم القول ان فلاناً حراً ؟ اننا قد نجد أنفسنا عاجزين عن الإجابة عن هذا السؤال بشكل مرضٍ. اننا غير قادرين على تقديم توصــيف واضــح ومتســق عن الحرية. وهذا دليل على اننا لن نملك زمام ذلك المفهوم – مفهوم الحرية – الا بشــكل جزئي. ومن مهام الفلســفة ان تعيننا على التمكن التام من المفهوم بدلاً من التمكن الجزئي مستخدمين في ذلك تحليل المفاهيم كأداة أساسية. (صـ17 :ن.م)

علم الجمال:-

يعرف علم الجمال (aesthetics) الذي يشمل ايضاً فلسفة الجمال في حدود الأسئلة المحورية التالية:-

1- ما هو الجمال ؟
2- ما الذي يجعل الشيء عملاً فنياً ؟
3- لماذا تُعد الاعمال الفنية شديدة الأهمية؟
4- هل الاحكام التي نصدرها بشأن ما، يعد حقاً عملاً فنياً، وبشأن القيمة النسبية لمختلف الاعمال الفنية هي أحكام موضوعية أما أحكام ذاتية؟ (صـ 34: 35: ن.م) ملاحظة يضاف المجمل صـ 35 مدخل الى الفلسفة.

علم الجمال وفلسفة الفن:-

أصل الكلمة:- يأتي مصطلح (استطيقا- aesthetics) علم الجمال من الكلمة اليونانية (aistheton) وتعني ممكن إدراكه بالحواس. وهو مصطلح فلسفي حديث ظهر في عام (1750 م) حين وضعه (أ.ج. باومجارتن A.G. Baumgarten) (1714 – 1762) بأنه (العلم الخاص بالمعرفة المتحصلة عن طريق الحواس أو ما يعرف (بالمعرفة الحسية) كمقابل للمنطق أو العلم الخاص بالمعرفة المتحصلة بالفكر الخالص أو ما يسمى (بالمعرفة الفكرية) وقد ذهب (باومجارتن) أيضاً الى ان غاية (الاستطيقا)هي الجمال بينما غاية المنطق هي الحقيقة. ومن هذه الفكرة يأتي الاستخدام المميز (الاستطيقا) أي علم الجمال (صـ 336: مدخل الى الفلسفة وليم جيمس أيرل).

أما كلمة (فن) فكانت في الأصل تعني :ماهرة، قدرة ، صنعة ، بمعنى مماثلة الكلمة اليونانية (techne) التي نشتق منها كلمة مثل تقني (technique) أي أسلوب فني. طرقة فنية للإنجاز، تكنيك (technical) أي خاص بالأساليب الفنية للعمل في الصناعة والعلم. (صـ 336: ن.م)

أن كثير من الموضوعات الطبيعة ومظاهر الطبيعة الهائلة والاعمال الفنية تلتقي في انها ممتعة بمعزل عن المنفعة العملية، فقد يبدو انها جميعاً يمكن ان تنضوي تحت تصنيف واحد هو مقولة الاستطيقي أي الجمالي (aest) . (صـ 337: ن.م)

أن فكرة المنفعة المنزهة عن الغرض، قد أعترض عليها، فتاريخ الفن يظهرنا على ان الفنان في كل الأحوال تقريبا كان يُكلف بعمل اللوحات الفنية، وذلك لتحقيق أغراض عملية من قبيل تنمية الوازع الديني أو دعم مكانة مالكي اللوحات أو كنوع من الاستثمار. الا ان كل ما تثبته هذه الحجة هو ان الاعمال الفنية تقع في نطاق الفئة المُهجنة تضم المفيد عملياً والممتع أستطيقياً. وهي الفئة ذاتها تدرج فيها جميع تلك الأشياء الطبيعية التي يمكن ان نستعملها وأيضاً ان نستمتع بها. (صـ 338 : ن.م)

لماذا ندرس علم الجمال:-

أن علم الجمال، أو فلسفة الفن كما يسمى أحياناً، فرعاً من الفلسفة، فعلم يأخذ على عاتقه القيام بأختبار نقدي لاعتقاداتنا المتعلقة بأمور مثل:- ما طبيعة الفن الجميل؟ وما الذي يميز الفنان المبدع عن غير الفنان ؟ وأي نوع من التجربة يعد تذوق الفن ؟

ان الوسيلة الوحيدة لمعرفة ما يختص به علم الجمال هي أن نرى كيف يقوم هذا العلم بنقد إعتقاداتنا المتعلقة بهذه المسائل. (صـــ 7 : النقد الفني جيروم) أن علم الجمال يدرس مسألة أساسية وهي لماذا كان للفن الجميل قيمة ؟ ان الاعتقاد بأن للفن مرتبة رفيعة بين (الأشـــياء الطبيعية في الحياة) هو إعتقاد يكاد يكون عاماً . بل ان هناك من يرون ان الفن له أعظم قيمة بين كل الإنجازات التي تستطيع التجربة البشرية ان تحققها.

ويقوم علم الجمال (بنقد) هذه الاعتقادات(فهل الفن حقيقة رائع. وجدير بالاهتمام الى الحد الذي نعتقد ؟ وأن صح الامر فما الذي يشكل قيمة الفن؟ هذه الأسئلة أساسية لا يستطيع عالم النفس أو عالم الاجتماع ان يقدم إجابة عنها .

فهما في كثير من الأحيان يفترضـــان مقدماً قيمة الاعمال الفنية في أبحاثه. فعالم النفس قد يختبر ردود أفعال عدد كبير من الناس إزاء الفن (الجيد) و (الرديئ) أو قد يقول عالم الاجتماع ان حضـــارة معينة أنتجت (فناً عظيماً) نظراً الى تنظيم مجتمعها. غير ان كلاً منهما لا يختبر معنى لفظ (جيد أو عظيم) . كما يطبق على الفن ، وإنما تترك عملية تحليل المعنى للباحث في علم الجمال .وفضـــلاً عن ذلك فإن علم النفس وعلم الاجتماع لا يقدمان عرضاً شاملاً للمعرفة المكتسبة من جميع الفروع التي تبحث في الفن، وضمنها علماهما، وتاريخ الفن والنقد الفني وألخ. ولكن هذه بعينها هي مهمة علم الجمال، الذي يقوم بها من أجل إكتســـاب معرفة محيطية شاملة بالفن. (صـ 11: جيروم)

ولكن، هل يثبت ذلك ان في استطاعة علم النفس تفسير قيمة الفن؟ أنه لا يستطيع ذلك الا بشرط واحد، وهو ان يكون من الممكن اثبات ان اثارة الانفعال الشـــديد هي بالفعل ما يجعل للفن قيمة. غير ان هذا الامر لا يمكن ابداً اثباته عن طريق علم النفس وحده. فمن الممكن الاعتراض على أي تعريف كهذا (للقيمة) الفنية من خلال الاســتجابات النفسـية للفن، وكثيراً ما أُعترض عليها بالفعل. ويعتقد معارضــو هذا الرأي أن قيمة الفن لا تتوقف على الاستجابة التي يثيرها في البشر، بل يرون أن قيمة الفن كامنة فيه.(صـ 12: جيروم)

كذلك فأن الدراسات المتخصصة الأخرى للفن، كعلم الاجتماع والتأريخ، لا تستطيع بدورها ان تكشف عن قيمته. فهي تهتم بإبراز أهمية الاعمال الفنية في المجتمع الإنســاني. غير ان الاعمال يمكن ان تكون (هامة) في التأريخ الاجتماعي سواء أكانت قيّمة بوصفها أعمالاً فنية أم لم تكن. فمن الممكن أن يكون لقطعة أدبية أو موســيقية تأثير كبير في التغيير الاجتماعي بوصـــفها وثيقة للدعاية، أو حافزاً للثورة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنها عمل فني جيد. (صـ 12 : جيروم)

وهناك مسألة أخرى، لها أهمية أعظم حتى من مسألة قيمة الفن، تغفلها وجهات النظر غير الفلسفية الى الفن. تلك هي السؤال: (ما الفن ؟). ذلك لان ميادين الدراسة التي تحدثنا عنها من قبل تستخدم كلها لفظ (الفن) لانها تثبت في الفن من وجهة نظر أخرى. لكنها لا تثبت في معناها بطريقة منهجية. ومن هنا فأن من الواجب أن يعالج علم الجمال هذه المسألة.(صـ 13: ن.م)

فالبعض يقول (ان عمل الناقد مختلف تماماً عن عمل المفكر الجمالي، بل مضـــاد له. ذلك ان الناقد يهتم بأعمال فنية معينة، أي هذه القصـيدة أو هذا التمثال ويحاول تحليلها أو تفسـيرها، ويقرر ان كان لهذا العمل قيمة، وليحدد مدى هذه القيمة أن وجدت. ومن هنا لم تكن المســائل (التجريدية) في علم الجمال تعنيه في شيء.(صـ 14 : ن.م)

قد أفترض علماء النفس ان قيمة الفن تقاس طبقاً لمقدار ما نشـعر به إزاءهُ من لذة. وقد يضـن المرء ان من الواضـــح ان الاعمال الفنية تكون جيدة إذا كانت تجذب اللذة. ورديئة أذا لم تكن كذلك. ومع ذلك فأن، هذا واحد من الاعتقادات التي يتخذ منها علم الجمال موقفاً (نقدياً) وماذا نقول عن التراجيديا، مثل (ماكبث)؟ إن هذا العمل لا يعد عادة فناً (جيداً) فحســب بل انه يعد فناً (عظيماً) ومع ذلك فأن تصــوير مؤلم للشــر وخيبة الامل .(صـ 17: ن.م)

ومن جهة أخرى فأن علم الجمال لا يملك ان يتجاهل هذه الدراسات الأخرى. فلا بد له ان ينتبه الى نتائجها ، وان يســتعين بها على الإجابة عن الأســئلة المتعلقة بطبيعة الفن وقيمته ولو لم يفعل علم الجمال ذلك لكان يمارس نشاطه في فراغ. وعلى ذلك فأن علم الجمال والدراسات الغير فلسفية للفن يكمل كل منها الاخر. فعلم الجمال ليس بديلاً عن أبحاث علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من الميادين. ولابد له من ان ينظم نتائجه ويرتبها حتى يصل الى اعتقادات سليمة عن الفن . (صـ 18 : جيروم)